العرب
الأربعاء 2020/02/26
السنة 42 العدد 11629

التجديد ليس بتحريك الكراسي

الدورة الـ70 من مهرجان برلين السينمائي لا تبدو أفضل من سابقاتها

إدارة ثنائية بلا جديد يذكر

أمير العمري
كاتب وناقد سينمائي مصري

حتى الآن يمكن القول تمخضت الإدارة الجديدة التي عيّنت العام الماضي لمهرجان برلين السينمائي فولدت فأرا كبيرا. فقد بدا أن نظرتها إلى التجديد تتعلق بتحريك بعض الكراسي والجالسين عليها، وتحريك بعض الأماكن التي اعتاد السينمائيون والنقاد التعامل معها ونقلها من مكان إلى مكان آخر.

الإدارة الجديدة لمهرجان برلين السينمائي في دورته السبعين، والتي تنقسم حاليا بين مدير فني إيطالي، ومديرة إدارية هولندية المولد ألمانية الثقافة، تعتقد أن تقليل عدد الأفلام التي يعرضها المهرجان من حوالي 500 فيلم أو أكثر إلى ما يقرب من 400 فيلم، والإعلان عن إلغاء بعض الأقسام (رغم إضافة أقسام أخرى بديلة لها) سيصنع فارقا كبيرا يجعل المهرجان أقوى وأكثر صلابة والاختيارات السينمائية للأفلام أفضل وأكثر تعبيرا عن الحالة السينمائية الحالية في العالم.

> الحضور العربي في مهرجان برلين بعد أن كان قويا وملموسا خلال السنوات الأخيرة، تم تهميشه في الدورة الحالية

لكن الحقيقة أن تقليل العدد اختيار أرغمت عليه الإدارة الجديدة بعد أن فقدت هذا العام موقعين رئيسيين لعرض الأفلام من ذوي الشاشات المتعددة، بسبب التجديدات، ممّا اضطرها مثلا إلى نقل عدد كبير من العروض الصحافية التي يحضرها أكثر من ثلاثة آلاف صحافي، إلى دار عرض بعيدة عن مكان إقامة المهرجان في القسم الشرقي من المدينة.

انحياز مضاد

أما الاختيارات الفنية نفسها، فهي الآن محلّ رصد وتقويم من جانب الصحافة الألمانية. وكانت ماريت ريسينبيك المديرة المسؤولة عن الجوانب الإدارية قد أعلنت أن الغالبية العظمى من مديري أقسام المهرجان أصبحوا الآن من النساء. وهو وما يعكس في الحقيقة انحيازا في الاتجاه المضاد، وليس رغبة في تحقيق المساواة.

أما المدير الفني كارلو شاتريان فقد أعلن أن الأفلام التي وقع عليها الاختيار للعرض في برامج المهرجان، ليست بالضرورة هي الأفلام المفضلة أو "أفضل الأفلام" بل الأفلام التي تعكس "الحالة السينمائية القائمة حاليا في سينما العالم".

وهو زعم لا صلة له بالواقع، فليس من الممكن أن يُقدّم فيلمان من الأفلام التي سبق عرضهما في مهرجانات أخرى في العام الماضي، لتمثيل السينما الأميركية التي تعتبر الأهمّ في العالم والتي تتمتع بالحيوية والقدرة على التجديد وتزخر بعدد كبير من المخرجين الموهوبين.

فهل فشلت الإدارة الفنية في إقناع شركات التوزيع الأميركية بعرض أفلامها الجديدة في برلين؟ هذا السؤال يجب تقديم إجابة واضحة عنه. أما إذا كان الأمر كذلك فيجب معرفة أسباب إحجام الموزعين الأميركيين؟ وهل البديل للحضور الأميركي الذي يضمن أيضا حضور نجوم السينما الكبار إلى برلين، أن يدرج في المسابقة فيلم فرنسي محدود القيمة هو فيلم "ملح الدموع" لمجرد أن مخرجه هو فيليب غارديل المخضرم؟ وهو نفس ما يمكن أن يقال عن إشراك فيلم المخرج المخضرم الآخر أبيل فيرارا في المسابقة في حين كان يمكن عرضه للتعريف في قسم البانوراما بسبب طابعه التجريبي.

من ناحية أخرى بدا أن الخضوع للعامل السياسي في الحكم على الأمور ليس في صالح المهرجان. فكيف يمكن على سبيل المثال، شطب تاريخ رجل مثل ألفريد باور مؤسّس مهرجان برلين نفسه، بكل بساطة وإلغاء الجائزة التي كانت لسنوات طويلة، تمنح باسمه في المهرجان، خضوعا لابتزاز بعض الصحف التي أصبحت تشم رائحة النازية في كل ما يتعلق بالذين عاشوا قدرهم خلال الحقبة النازية.

والمؤسف أن القرار صدر من قبل التأكد من ضلوع الرجل في رسم أي سياسات تتعلق بالنشاط الثقافي والفني تحت إدارة وزير الدعاية النازية جوزيف غوبلز. فقد أعلنت الإدارة أنها كلّفت باحثا تاريخيا بتحري تاريخ ألفريد باور وموافاتها بتقرير عنه سيستغرق إعداده ثلاثة أشهر.

> الدور الأكثر بروزا للممثل الرجل في أفلام المهرجان، يعود إلى أداء الممثل الإيطالي أليو جيرمانو في فيلم «مُخبأ بعيدا»

وبعد أن كان الحضور العربي في مهرجان برلين قويّا وملموسا خلال السنوات الأخيرة، تم تهميش وجود الأفلام العربية والاكتفاء بعرض بعض الأفلام القصيرة والتجريبية التي لا تقدّم صورة حقيقية للنشاط السينمائي في العالم العربي، ولا لما يصنعه السينمائيون من أصول عربية في أوروبا.

ولكن في الوقت نفسه، يواصل مهرجان برلين اهتمامه الدائم بالسينما الإيرانية، ففي المسابقة الرسمية فيلم جديد للمخرج محمد رسولوف مع فيلمين آخرين في البرامج الموازية. وهو ما يشير أيضا إلى دافع سياسي محدّد وراء هذا الاهتمام، في سياق السياسة المعتدلة التي تتبعها ألمانيا عموما في ما يتعلق بموضوع الملف النووي الإيراني.

ضعف الأفلام

بشكل عام تبدو الدورة السبعون التي كان يفترض أن تكون احتفالية وتتميز كثيرا عن سابقاتها، دورة أقلّ من عادية بسبب الضعف العام لأفلام المسابقة التي تستقطب عادة الأضواء.

وكلما ذهب المرء وهو يملؤه الأمل في العثور على التحفة السينمائية المنشودة يخيب أمله، فلا توجد في مهرجان برلين تحف سينمائية، رغم وجود عدد من الأفلام الجيدة والمتوسطة الجودة، مع تشابه كبير في المواضيع التي تدور معظمها حول المرأة، في عذابها بسبب علاقتها بالرجل، كما أن صورتها في هذه الأفلام صورة امرأة قوية، تمتلك الرغبة في الاستقلال والتحقّق بعيدا عن العلاقة مع الرجل.

ولعل أفضل ما عرض من أفلام حتى الآن في هذا السياق هو الفيلم الأميركي "ليس نادرا بل أحيانا دائما"، فهو عمل متماسك شديد البراعة والتأثير.

وحتى الآن يبرز أداء الممثلة الألمانية المخضرمة نينا هوس في فيلم "أختي الصغيرة" وهي الممثلة الأهمّ في السينما الألمانية عموما، وزميلتها الأصغر سنّا بولا بير في فيلم "أوندينه".

أما الدور الأكثر بروزا للممثل الرجل في أفلام المهرجان حتى الآن فيرجع دون شك إلى أداء الممثل الإيطالي أليو جيرمانو في دور الرسام الإيطالي توني ليغاوبي في فيلم "مخبأ بعيدا". والفيلم نفسه يظل أيضا أفضل ما شاهدناه. لكن لا يزال هناك ثمانية أفلام في المسابقة لم تعرض بعد. وبعدها يكون لكل حادث حديث!

بيتهوفن في دمشق.. الموسيقى تقاوم الحرب

نضال قوشحة
كاتب سوري

دمشق – يحتفل العالم هذا العام بذكرى مرور مئتين وخمسين عاما على ولادة الموسيقار العالمي لودفيغ فان بيتهوفن (1770–1827)، حيث تحتفي كبريات الفرق السيمفونية عبر العالم بهذا الحدث الذي يستمرّ على امتداد السنة الحالية.

ومن بين هذه الفرق تحضر الفرقة السيمفونية الوطنية السورية التي احتفت بدورها ببيتهوفن على طريقة قائدها المايسترو ميساك باغبودريان، وذلك عبر حفلة موسيقية أحيتها الفرقة مؤخرا بدار أوبرا دمشق، والتي نفدت تذاكرها خلال ساعات قليلة من الإعلان عن الحفلة.

مؤشر حمل الكثير من السعادة للقائمين على العمل، على رأسهم قائد الفرقة ميساك باغبودريان الذي قال لـ"العرب"، "وصلنا لهذه النتيجة بعد تعب وجهد كبيرين، وعلى امتداد سنوات استطعنا أن نبني علاقة من الثقة بيننا وبين الجمهور، الذي يشعر في كل مرة أنّ هناك عرضا صادقا ومُتقنا يقدّم له، وهو يقدّر هذا جيدا، فالإتقان والصدق هما جسر التواصل بيننا وبين الجمهور".

وعن الحفلة ودواعي الاحتفاء ببيتهوفن سألت "العرب" الموسيقار السوري، فقال "للإجابة عن هذا السؤال يجب الإحاطة به من جانبين. أحدهما شخصي والآخر مهني. ففي تاريخ الموسيقى هناك الكثير من الموسيقيين الذين كانت أخبارهم ذائعة بسبب موسيقاهم أو بسبب علاقتهم مع المجتمع والحالة الإنسانية عامة. وهذا ما يشمل بيتهوفن تحديدا، فهو شخص صنع جدلا كبيرا في حياته، تعرّض لمأساة كبيرة وهي التي أدّت لعبقريته لاحقا".

ويسترسل "لا نستطيع أن نتعرّف على أعمال بيتهوفن دون معرفة تفاصيل حياته وشخصيته، وكيف أدّت لمنتج موسيقي يتجاوز حدود ألمانيا. السيمفونية الخامسة له هي المؤشر الأكبر على ذلك فكل العالم صار يعرف بأن هذه الموسيقى له. من خلال الفكرة الهائلة التي انطلق منها. إضافة إلى ذلك كان لدى بيتهوفن علاقة جدلية إنسانية وأخلاقية مع الحالة الإنسانية والفكرية في عصره. فتأثر بغوته وشيلر".

ويؤكد الموسيقار السوري أن بيتهوفن تحدث في موسيقاه عن "أخيه الإنسان"، وهي الحالة الإنسانية التي يجب أن يعيشها البشر جميعا بغض النظر عن الجنسية والدين واللون.

ويوضح "هو كسر بموسيقاه القواعد الموسيقية وطوّعها لأفكار أكبر من حجم الموسيقى، لأنها إنسانية ضد التقاليد الموروثة في ألمانيا وغيرها. مثالا على ذلك، كانت تجربته في السيمفونية الأولى التي هي على سلّم دور ماجور. وحسب القواعد فإنه يجب أن يبدأ بهذه النغمة، لكنه بدأ بغيرها. ففي كل عمل موسيقي له يقوم بكسر التقاليد".

ومعروف أن بيتهوفن صار أصمّ وألّف أعظم أعماله وهو كذلك. هو خارج الطبيعة والمفاهيم المُتعارف عليها. أعماله مؤثرة في كل الناس وتجعله محبوبا. ويسترسل ميساك باغبودريان "هذا مهنيا، أمّا شخصيا فإن أوّل عمل سمعته منذ كنتُ طفلا، كان له عندما أهدتني خالتي شريط كاسيت عليه أعماله وظلت الأعمال في ذاكرتي. أثّر فيّ كطفل والآن كموسيقي. موسيقاه صارمة وعميقة، لكنها تحمل نظرة حداثة للعصر الذي عاش فيه".

وعن السبب الذي جعله كقائد للفرقة السيمفونية السورية ينفّذ هكذا حفل، يضيف "من الناحية الموسيقية يجب أن نكون محتفلين ببيتهوفن، ليس ضمن حالة الاحتفال العالمي فحسب، بل لأنه موسيقي جدير بأن نقدّم أعماله ويتعرّف عليها الجمهور، لأنها موسيقى تتجاوز العصور لعظمتها وصفائها الشديد".

ولا يخفي الموسيقار السوري إعجابه الشخصي بموسيقى بيتهوفن ومدى تطوّره المهني، حيث قال لـ"العرب"، "لذلك بدأنا الحفلة بالسيمفونية الأولى له، والهدف مواكبة التطور المهني الذي تحقّق. بيتهوفن موسيقي شجّع على كسر القواعد والخروج عن الأنماط المعروفة قبله.. في السيمفونية السادسة أوجد إبداعات كبيرة، سواء بعدد الحركات أو نمط التأليف. هو موسيقي يخلق الجديد فطريا، يفعل شيئا ويصير قاعدة بعده".

وعن أهمية الدور الذي تقوم به الفرقة السيمفونية السورية لإيصال صوتها للناس في البلد وخارجه، يقول ميساك باغبودريان "أن نكون موجودين على الساحة العالمية للموسيقي أمر صعب. فأن تكون حاضرا مع فرق شهيرة لها خبرة كبيرة أو أخرى حديثة، لكنها وصلت إلى مراتب عليا من خلال استقطابها لخيرة عازفي العالم، فهذا الأمر غير متاح بالشكل الجيد لنا. فأعضاء فرقتنا عشقوا الموسيقى نتيجة وجود شخص اسمه صلحي الوادي، هو الذي زرع البذرة فينا وصارت رسالتنا".

> بيتهوفن تحدث في موسيقاه عن «أخيه الإنسان»، مبشرا بالتعايش بين البشر بغض النظر عن الجنسية والدين واللون

كما يؤكد الموسيقار السوري أن سببا آخر حفّز الفرقة على العمل والحضور بانتظام في المشهد الموسيقي السوري، هي الحرب السورية التي جعلت أعضاء الفرقة يستمرون في تقديم موسيقاهم بالداخل والخارج خاصة. قائلا "في حالة الحرب التي تعيشها سوريا منذ أزيد من ثماني سنوات، كان علينا أن نوجّه رسالة إلى الخارج مفادها أننا لسنا مُصدّري إرهاب وعنف كما يحاولون تصويرنا عليه. لذلك كان علينا أن نعمل بمستوى عال أمام مجتمعنا أولا، ثم لنمثّل سوريا عالميا ونصدّر أنفسنا ثقافيا ثانيا. الإدراك المجتمعي وإيمانه بنا جعلنا نستمر في العمل، فقوتنا نستمدها من الجمهور ومن الكوادر التي كانت معنا".

وعن تأثير الموسيقى في البعد السياسي والحضاري العالمي وما قامت به الفرقة الوطنية السورية، يقول "كنتُ في إسبانيا منذ عامين في ملتقى لقادة الأوركسترا، حيث وجد 115 قائدا موسيقيًا من 40 دولة. طُلب مني أن أقدّم محاضرة عن كيفية تقديم موسيقى في زمن الحرب".

ويسترسل الموسيقار السوري "لم أكن أدرك أن تجربتنا ستكون مثالا لدول أخرى. مثلا عام 2013 قدّمنا فكرة "من أجل شتاء دافئ نعزف"، وكنا نستقبل التبرّعات العينية ونوزّعها على الناس في مراكز الإيواء. صنعنا شعارا وقتها، هو "وجه بائس زائد نوتة موسيقية يساوي وجها سعيدا".

ويقول ميساك باغبودريان "نحن لسنا أول من يتعرّضون للأزمات ويؤلفون الموسيقى، في اللحظة التي يقفل فيها الأطباء المستشفيات، سنتوقف نحن بدورنا عن عزف الموسيقى. هم يشفون الجسد ونحن نشفي الروح".

ميساك باغبودريان: وجه بائس زائد نوتة موسيقية يساوي وجها سعيدا